بعد سنوات الحرب الطويلة لم ترتدع القيادة العسكرية عن خداع نفسها بأنه «يمكن قهر الفلسطينيين»

ما حدث على شاطىء غزة «قانا جديدة» ستدفع اسرائيل ثمنها غاليا

■ منذ بداية الحرب ضد الفلسطينيين تعود وتُطرح في المناقشات السياسية والعسكرية بين الفينة والاخرى عبارة «قانا». هذه التسمية تظهر التخوف من أنه خلال القيام باحدى العمليات العسكرية يحدث تدمير وخراب مثلها، بحيث يصعب على اسرائيل حينها أن تشرح موقفها وأن تبرر سياستها بسبب ذلك.

يبدو أنه ما زال سابقا لأوانه ما اذا كانت تلك الصور التي تُدمي القلب من شاطىء غزة يوم أمس الاول، حيث رأينا فتاة فقدت في لحظات والديها وجميع أفراد عائلتها نتيجة انفجار قذيفة أطلقها الجيش الاسرائيلي. ذلك ليس «قانا» جديدة. الايام تغيرت بشكل جوهري منذ عملية «عناقيد الغضب» والتي أوقفت فعليا في أعقاب وقوع قذيفة اسرائيلية أصابت مئات الاشخاص في جنوب لبنان.

فردود الفعل العالمية متغيرة، والجمهور في اسرائيل تغير، ولكن ليس من المبكر القول أن نشوة القوة التي تسود اوساط القيادة العسكرية التي تعتقد جازمة بأنه ما زال ممكنا اخضاع الطرف الثاني بواسطة النار والتجويع. ومعا، مع لهفة وحرص وزير الدفاع المناوب، يظهر لنا (ولهم) بأنه ليس أضعف من الآخرين، وبعض الآخرين اتفقوا مع بعضهم لكي يوصلوا حالة وقف اطلاق النار الهشة بين اسرائيل وحماس الى حافة الانهيار.

في الشهر الذي شغل فيه عمير بيرتس منصب وزير الدفاع، حاول الدمج بين القوة والانسانية. ومقابل الطلب من الجيش «البحث وايجاد طرق جديدة، بديلة لمحاربة مُطلقي صواريخ القسام»، هناك من تفاخر يوم أمس بأنه هو الذي أقر شخصيا التعليمات لسفن سلاح البحرية لاطلاق قذائفها على شاطىء غزة، وأنه هو شخصيا ايضا الذي يحاول تخفيف حالة الخنق المفروضة على المناطق. فهو الذي سمح بادخال بضعة آلاف زيادة من العمال الفلسطينيين للعمل في اسرائيل، وبذلك سمح بفتح معبر كارني لساعات طويلة أكثر. ولكن سياسة القوة التي أقرها ايضا أفضت، بصورة لا يمكن منعها، الى أن تتحول هذه التسهيلات الى شيء غير مجد. فالاعلان الذي صدر عن حماس بأنها لم تعد ملزمة بالحفاظ على «التهدئة»، وانها انتهت، سوف يبدأ منذ صباح اليوم بإحداث تغييرات يتسبب معها في اعادة الحصار على المناطق بهدف منع موجة من العمليات الارهابية الجديدة.

تجربة التاريخ تُعلمنا، لمزيد من الأسف، أنه لا يمكن منع كل «الموجة»، وأن الهدوء النسبي الذي ساد حياتنا طوال السنتين الماضيتين يمكن أن نعزوه للعمل الدؤوب الذي قامت به قوات الجيش، ولكن، ليس أقل أهمية من مصلحة واضحة لحركة حماس، بوصفها القوة الفعلية الأكبر التي احتاجت الهدوء في المناطق. إن مواجهة اعمال تقوم بها حركة الجهاد الاسلامي وبعض المجموعات الاخرى، تختلف كثيرا عن الجهد المطلوب لمنع وصد كل قوى حماس العاملة، وقادة الجيش الاسرائيلي يعرفون ذلك جيدا، وهم منذ الآن يقترحون عدة خطوات لمواجهة الأخطار التي برزت في الوضع الحالي.

حتى بعد سنوات الحرب الطويلة التي مرت، لم ترتدع القيادة العسكرية الاسرائيلية عن حالة خداع النفس التي تُقنعها بأنه «يمكن قهر الفلسطينيين».

فهي ما تزال تعتقد بجدوى قصف مناطق مأهولة بالسكان، وبتصفية القادة، وتدفع باتجاه الحرب والنار عن طريق اشعال المزيد من النار. والمشكلة، بل النتيجة الواضحة، هي بأنه لا أحد من هذه الوسائل قد تمكن من وقف اطلاق صواريخ القسام، بل انها كانت جميعها تدفع الى اطلاق المزيد منها، وبعدها مزيدا من التصفيات. كل ذلك من خلال تقصير مدى بُعد الاشتباك وتقليص بُعد الأمن وباقي الخطوات، وهي تلك التي أوصلت اسرائيل الى حافة الانزلاق، والمسألة هي مسألة وقت فقط الى أن تحدث خطوة كبيرة مؤثرة نحو الأمام.

هيا لنعترف بالحقيقة. ففي نظر الغالبية من الجمهور الاسرائيلي، الذي شبع مما حدث طول السنين الست الماضية، فان صورة هذه الفتاة الصغيرة التي تصرخ فوق جثة والدها كانت مثيرة، ومع ذلك فانها لم تحدث تغييرا. وصور من حوادث قصف سابقة لم تكن أقل تأثيرا وفظاعة، هكذا نقول لانفسنا بحق وصدق. فالشيء الوحيد الذي لم يتغلغل بعد الى داخلنا هو أنه لا يوجد شيء لا يمكن منعه، يكونون هم، أو نحن، أو كلانا معا نبكي. فالبكاء عندهم يعني، بعده، أن البكاء عندنا سيتلو. الفجيعة عندهم تعني مزيدا من خطر احتمال وقوع الفواجع عندنا في بعض مدننا. والنظام الذي يفترض به معرفة كل ذلك بعد ست سنوات، ما زال يواصل ما به دون حراك.

عوفر شيلح
كاتب دائم في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/6/11

أهم بأضعاف من المناكفة التي بين اسرائيل والفلسطينيين

العار على شاطئ غزة هزيمة في معركة على صورتنا كشعب وكبشر

■ مشهد الطفلة من شاطئ غزة التي تمزقت حياتها إربا امام ناظرينا، يجب ان توقظنا من السبات الذي نستغرق فيه منذ سنين. وبدل الحرص على «الضرر الاعلامي الذي قد يقع باسرائيل»، بدل صياغة الحجج المضادة التلقائية والمتآكلة على الفور، يجمل بنا أن ننظر الى ما فعلته أيدينا، ونسأل أنفسنا الى أين، الى اي هوة ندفع أنفسنا اليها بكلتي يدينا.

ولاجل ماذا كل هذا؟ لاي نتائج جلبنا النار التي لا تنتهي نحو «مواقع اطلاق القسام»، «اعتقالات المطلوبين» التي تجري للعشرات في كل ليلة في المناطق المحتلة والاحباطات المركزة التي تقتل الابرياء أساسا؟ ما هو النفع منها على المدى القريب والبعيد، وماذا حققت لنا حقا، بقيم الامن وقيم مستقبلنا هنا؟ والى متى سنسلم، بسلبية تامة، بأن تواصل عصبة من رجال «الامن» ـ الذين يتبين أنهم عديمو الالهام وعديمو الحيلة حتى في مجال اختصاصهم! توريطنا في تلك الجلبة الفتاكة التي تجري فيها حياتنا منذ عشرات السنين، بين ضربة ورد الفعل عليها، بين رد الفعل والضربة.

اليوم هذا هو الطفلة من غزة وابناء عائلتها، وغدا سيكون هؤلاء، لا سمح الله، اطفال في القدس وفي تل أبيب يدفعون ثمن الرد الفلسطيني. الجيش الاسرائيلي، الذي كان في الماضي جيشا جريئا وأصيلا، يتحرك منذ سنين بحركات متواترة كالآلة الثقيلة ومغلقة الحس، يضرب مرة إثر مرة الفلسطينيين، وفي نهاية المطاف لا يفعل بهم سوى ان يعمق الاحساس بالمهانة والغضب والرغبة في الانتقام.

رئيس الوزراء يصرح من على كل منصة في العالم بان اسرائيل «ستبذل كل جهد ممكن» قبل أن تيأس من امكانية الحوار مع الفلسطينيين وتتوجه الى الانطواء احادي الجانب. أما الاعلان الجريء من أبو مازن عن استفتاء شعبي فانه يستخف به على الفور فيصفه بـ«غير ذي أهمية». وبمواظبة وعناد يتجاهل اولمرت كل جس نبض للحوار من جانب الفلسطينيين، ويبدو أنه لا يتصور على الاطلاق اي مبادرة للحوار معهم، او اقتراح اسرائيلي شجاع يتحدى حماس.

شيء من هذا لا يتم. والجلبة وحدها تواصل الضرب والاستنزاف، المزيد فالمزيد ـ للفلسطينيين، ولكن لنا ايضا. والحركة الوحيدة، التلقائية والغبية التي تثير فينا نزعة الوجود الاساس، الصرخة التي تدعونا الى التخلص من الورطة التي نعيشها، والتي نتدهور فيها من قاع الى قاع.

رئيس الاركان، الذي بشكل عام ينام مطمئن البال، أمر بوقف نار المدفعية لليلة واحدة. ولكن أقلم يكن ينبغي ربما ايقافها الان لزمن اطول؟ أقلم يكن من المناسب ربما الان بالذات الوقف التام للنار والدعوة الى مفاوضات بلا شروط مسبقة؟ هل ستفسر هذه ضعفا، او ربما هزيمة اسرائيلية؟ لا بد أنه سيكون هناك من يرون هكذا، ولكن الطفلة المتراكضة فزعا على الشاطئ في غزة، هي في نهاية الحساب الهزيمة الأشد والاكثر جوهرية لاسرائيل، لقيمها وأسسها الاخلاقية التي تقوم عليها. العار على شاطئ غزة هو هزيمة في معركة أهم بأضعاف من المناكفة التي لاسرائيل مع الفلسطينيين ـ المعركة على صورتنا كشعب وكبني بشر.

دافيد غروسمان
كاتب يساري بارز
(معاريف) 2006/6/11

لولا التعاون الثلاثي لكانت تل ابيب اضطرت الى ابتداع حلول اخرى

سياسة اسرائيل تجاه مصر والاردن جاحدة وانتهازية وسرعان ما ستنقلب عليها وعلى اصدقائها الذين يقومون بصيانة الاحتلال من اجلها

■ هناك روتين تكراري هام قد تبلور: في كل مرة يُعين فيها رئيس وزراء جديد، يمر مسار سفره الاول عبر واشنطن فالقاهرة فعمان. في كل مرة تزداد أهمية زيارة الاصدقاء العرب لأنه كلما استطال الاحتلال اتضح أنه يعتمد بصورة أكبر فأكبر على تعاونهم مع اسرائيل. مصر على سبيل المثال تحتفظ بخط حدود بينها وبين غزة، وهي التي أعتقت اسرائيل من محور فيلادلفيا، صمام الهواء الاقتصادي لغزة يمر عبر مصر، والآن ها هو اولمرت يطلب من مبارك السماح للفلسطينيين باستخدام مطار العريش. مصر أخذت على عاتقها مهمة الحفاظ على الهدنة التي أعلنت عنها حماس، وإلصاق الشظايا التي تتطاير بين فتح وحماس وباقي الفصائل الفلسطينية.

الاردن هو الصمام الشرقي. أكثر من مئة مصنع فلسطيني أغلقت في الضفة وغزة بسبب الوضع الأمني ـ فُتحت مجددا في الاردن. الاردن يستوعب العائلات والطلاب الفلسطينيين غير القادرين على مواصلة العيش في الضفة، وهو يحافظ على خط الحدود الشرقي لاسرائيل ويطبق الى جانب مصر، المقاطعة المفروضة على السلطة الفلسطينية منذ انتخاب حماس. لولا هذا التعاون الثلاثي لكانت اسرائيل اضطرت الى ابتداع حلول اخرى.

الا أن اسرائيل تتعامل مع هاتين الدولتين مثل أزعر يقوم بالقاء قمامته أمام بوابة الجيران. قبل ثلاث سنوات التقى ارييل شارون وجورج بوش ومحمود عباس في العقبة برعاية الملك عبد الله. خطاباتهم بثت روح الأمل في استئناف العملية السلمية. عباس صرح علانية بأنه لا يوجد حل عسكري للصراع، وعبر عن معارضته للاعمال العنيفة. شارون تحدث عن تطبيق خريطة الطريق، والملك عبد الله كان على قناعة بأن ذلك اللقاء الهام جدا في قصره هو بداية درب جديد.

اسرائيل كانت ودية معه، ولم تُتح أمامه المجال للانتظار طويلا الى أن جاءت خيبة الأمل. خريطة الطريق جُمدت، وعباس رُكل خارجا، والجدار الفاصل نهض حيا وأثار خوف عبد الله الذي رأى بينه وبين نفسه امكانية تدفق مئات آلاف المهاجرين الفلسطينيين اليه. وعد اولمرت لعبد الله في يوم الخميس ببذل كل ما في وسعه لاستئناف امكانية التفاوض قبل التوجه الى خطته أحادية الجانب، قوبل بالارتياب العميق في الاردن في أحسن الاحوال. النقاط الخلافية بقيت على حالها ومعها الارتياب الشديد تجاه اولمرت والخشية من خيار «الوطن البديل» الذي ستطبقه اسرائيل مع الاردن.

اولمرت وعد مبارك بالالتقاء مع محمود عباس قريبا. التوتر العالي الذي تسبب به عباس مع حماس، والمهلة التي وجهها لها في قضية وثيقة الأسرى ـ تحول اللقاء بينه وبين اولمرت الى لقاء أكثر ضرورة من أي وقت مضى، لأنه حتى لو لم يجر الاستفتاء، فان عباس بحاجة لمساعدة اسرائيلية حتى يشير الى وجود بديل ايجابي للوضع المأساوي الذي يعيش فيه ثلاثة ملايين ونصف فلسطيني. مثل هذا اللقاء المؤثر سيعرض سلسلة من الخطوات العملية التي تُسهل حياة الناس الى جانب الأمل بخطة سياسية قابلة للتطبيق. هذا الحد الأدنى الذي يحتاجه محمود عباس حتى يحقق هدفه. وهذا ايضا كان طلب حسني مبارك وعبد الله. اولمرت هز رأسه ووزع الوعود. أحد المسؤولين في البلاط الملكي الاردني توجه الى رفيقه معلقا ببرود: «ها هم الاسرائيليون يأتون مرة اخرى لبيعنا بضاعة قديمة».

اسرائيل تحتفظ بالفعل بتلك البضاعة العفنة التي تقول أن الاردن ومصر لا تملكان مفرا إلا مواصلة صيانة الاحتلال من اجل مصلحة اسرائيل: فمصر لا ترغب مثلا في وصول الارهاب الى اراضيها، والاردن لا يريد هجرة الفلسطينيين مجددا اليه. ولذلك سيبقى القفص الفلسطيني مقفلا. إلا أن الفلسطينيين الذين يفقدون السيطرة على زمام الأمور لم يتعلموا هذه الصيغة في مدارسهم. مع قليل من الضغط الاضافي والجوع، سيعود كل من لا يتمكن من الهجرة الى تفجير نفسه، اذا لم يكن في تل ابيب ففي عمان أو القاهرة. وحينئذ سنرى من الذي سيقوم بصيانة الاحتلال من اجل اسرائيل.

ايهود اولمرت

حسني مبارك

الملك عبد الله الثاني

تسفي برئيل
المراسل السياسي للصحيفة
(هآرتس) 2006/6/11

صيحات الانتقام هي التي ستسيطر

مقتل سبعة مواطنين فلسطينيين بقذيفة اسرائيلية يؤكد وجهة الصدام التي تسيطر على المنطقة

كما هي الحال في عدد من الحوادث السابقة طوال الانتفاضة الثانية، فان مقتل سبعة مواطنين فلسطينيين بقذيفة اسرائيلية (كما يبدو) يوم أمس الاول، يؤكد وجهة الصدام التي تسيطر على المنطقة، وأنها أكثر قوة من نوايا الزعماء.

رئيس الوزراء، ايهود اولمرت، سيواصل العمل من اجل عزل حكومة حماس، ورئيس السلطة، محمود عباس (أبو مازن)، أعلن يوم أمس عن الاستفتاء العام، كمناورة لتجاوز حماس، ولكن الدم والضحايا، مرة ثانية، ستكون هي المؤثر الأكبر من البرامج الاخرى المختلفة.

صورة الفتاة هدى غالية، ابنة الثانية عشرة، وهي تبكي بمرارة الى جانب جثة والدها في الرمال، سوف تحفر في عمق الذاكرة الفلسطينية كما سبق لرؤية الصبي محمد الدرة الذي مات بين ذراعي والده في مفترق نتساريم، في اليوم الثاني لاندلاع الانتفاضة. فصورة الدرة، يجب أن تُذكرنا بأن الصراع ما زال مستمرا. اعلان حماس يوم أمس عن استئناف العمليات ضد اسرائيل بعد توقف استمر 17 شهرا، كان معنى من معاني هذه الفاجعة، والتي تطالب الآن بالانتقام. عمير بيرتس كان يمكنه منع هذه الكارثة على شواطىء غزة. فغداة دخوله الى وظيفته الجديدة وزيرا للدفاع، وفي المقابلة الاولى مع قادة الجيش الاسرائيلي، أعرب بيرتس عن استيائه من قصف المدفعية الاسرائيلية لغزة، ومن ناحية الفهم المزدوج للمخاطرة بحياة المواطنين الفلسطينيين المدنيين، وفي نفس الوقت المحافظة على حياة المواطنين الاسرائيليين في المستوطنات المحيطة بالقطاع، حاول أن يعمل من خلاله، وهذا كان لدى قيام الوزير بزيارته الاولى للقيادة الجنوبية.

في قاعدة الجيش الاسرائيلي في تل عوز، قصف الضباط الكبار الوزير بنظرياتهم وحساباتهم الكبيرة، وذلك للاثبات بأن القصف بالمدفعية الى «مناطق الاطلاق» يُصعب كثيرا على الخلايا التي تُطلق الصواريخ ويُقلل من دقة اصابتها في المناطق الاسرائيلية. ويبدو أن بيرتس اقتنع، وبذلك واصلت المدفعية عملها.

حتى استئناف للمحكمة العليا، دون محاولة للتدخل، رُفض، كانت منظمات حقوق انسان قد تقدمت به وحذرت بأن «تقصير رقعة الأمن للمدفعية التي تُطلق على المواقع السكنية الفلسطينية، سوف تتسبب بمقتل أبرياء. وفي الاسبوعين الأخيرين، وعلى الرغم من القصف المدفعي الاسرائيلي، وتحديدا، فقد ازداد اطلاق صواريخ القسام. والقذيفة القاتلة، التي قدر الكثيرون بأنها ستسقط في وقت ما، سقطت يوم أمس الاول. فقد أُطلقت، ولكن من مدفعية في منطقة ناحل عوز.

التدهور الحالي بدأ منذ مقتل جمال أبو سمهدانة، قائد «لجان المقاومة الشعبية»، وهو حليف قوي لحماس، في القصف الجوي ليلة الخميس. فهل كان مقتله عبارة عن سجل جديد متكرر من عمليات التصفية التي بدأت منذ 2002 والتي استهدفت نشيط فتح رائد الكرمي، التي وجهت الصراع نحو مرحلة أكثر تطرفا بين اسرائيل وفتح؟ هذا هو السؤال الاول الذي يمكن سؤال الاسرائيليين عنه ما اذا كان أبو سمهدانة موجودا في المخيم الذي قُصف، أو كان على شاطىء غزة، من الواضح أن الاجابة سلبية.

لقد استهدف القصف اصابة مجموعة اللجان الشعبية التي تدربت استعدادا للتسلل الى اسرائيل. ومهاجمة المعسكر كانت درجة اخرى من التصعيد المستهدف، وذلك ردا على مشاركة حماس في اطلاق صواريخ القسام حول ضواحي بيت بيرتس في سدروت. وحين عُرف بأن أبو سمهدانة، الذي زار ذلك المعسكر فجأة، كان بين القتلى، فان المؤسسة العسكرية اعتبرت موته عبارة عن جائزة اضافية.

ولكن حُزنا على موت أبو سمهدانة، وهو أحد رموز الانتفاضة، فان هذا الغضب شمل ايضا كثيرا من المواطنين. فكلاهما يهدد بجر حماس مرة اخرى الى ساحة القتال ضد اسرائيل، ومرة اخرى ايضا لجر المنطقة كلها الى نوع من الصراع الحاد الذي يحاول أبو مازن تهدئته عن طريق الاستفتاء العام. فتصعيد الاوضاع في غزة، كما أعلن رئيس السلطة يوم أمس، هو السبب في اجراء الاستفتاء العام بتاريخ 26 تموز (يوليو) المقبل. ففي النقاشات التي دارت بين اوساط المؤسسة العسكرية الاسبوع الماضي، أبدى الحاضرون شكوكا في نجاح هذه الخطة. وفي اعتراض حماس، سيصعب على رئيس السلطة حتى مجرد اجراء الاستفتاء في غزة، هذا اذا لم نتحدث عن نجاحه هناك. حتى لحماس يوجد الآن ما تخسره. فاذا ما استأنفت العمليات الانتحارية، فانها ستوضع مرة ثانية كقيادة دولة ارهابية ومستهدفة من قبل اسرائيل. وأن اعضاءها سوف يُجبرون مرة ثانية على العمل سرا، وبذلك سوف تُشل حكومة حماس. ومع ذلك، فان أحداث اليومين الأخيرين في القطاع أظهرت مدى ضغط الشارع على هذه المنظمة الآن. فقد خرج الآلاف من الفلسطينيين يوم أمس الاول الى شوارع غزة بهتافات تنادي «كتائب، كتائب»، بمطالبة واضحة من كتائب شهداء الاقصى العودة الى العمليات الانتحارية.

وفي ظروف اخرى، كان يمكن أن تختار حماس الصراع من جديد، ولكن هذه المرة أطلقت صليات من صواريخ القسام على سدروت وأعلنت المنظمة بأنها شاركت في عمليات الاطلاق. أحد التفسيرات التي لها علاقة بما يحدث مجددا، هو أن القاعدة تنفخ في ظهر حماس. ففي القطاع سارت مظاهرة كبيرة في أعقاب تصفية أبو سمهدانة، والزرقاوي في العراق قد قُتل قبل ايام، وقبل يومين نُشر تسجيل يطالب فيه نائب اسامة بن لادن، أيمن الظواهري، الامتناع عن اجراء الاستفتاء في السلطة. ومن ناحية المجموعة الأكثر تطرفا من غيرها، فان حماس قد خرجت منذ وقت طويل من دائرة المنظمات المحاربة ضد اسرائيل. وأن عددا من نشطاء الذراع العسكرية عندها قرروا الانسحاب منها والانضمام الى الجهاد الاسلامي، أو ربما الى مبعوثي «القاعدة ـ فلسطين».

في الايام القريبة القادمة سيتضح ما اذا كانت حماس ستكتفي باطلاق الصواريخ، أو أنها ستنفذ تهديدها بالعودة للقيام بعمليات انتحارية. ويوم أمس أيدت القيادة السياسية التهديدات التي أطلقتها الذراع العسكرية في الحركة، ولكن ليس من المؤكد الآن بأن اسماعيل هنية، في غزة المهددة، ينظر الى الأمور بنفس النظرة التي ينظر اليها خالد مشعل من دمشق الآمنة نسبيا حتى الآن.

وفي الجانب الاسرائيلي، فقد دعا وزير الدفاع الاسرائيلي يوم أمس الى اجتماع عاجل مع كبار قادة الجيش الاسرائيلي و«الشاباك» حيث عُقد في مقر لواء غزة. وفي قيادة الجيش لا يوجد موقف موحد متفق عليه إزاء السياسة المطلوب انتهاجها مقابل استمرار اطلاق الصواريخ. فرئيس جهاز «الشاباك»، يوفال ديسكن، يوصي باستئناف العمليات البرية في غزة. ورئيس الاركان، دان حلوتس، يرفض ذلك، ولكن في الجيش يعتقدون بضرورة استمرار الهجمات من بعيد ـ من الجو (بما في ذلك العمليات المستهدفة لكبار المسؤولين للذراع العسكرية في حماس)، ويمكن ايضا اطلاق المدافع. ويوم أمس قرر بيرتس كما يبدو عدم استمرار اطلاق قذائف المدفعية. ولكنه يستطيع أن يسمح لنفسه بموقف كهذا رغم صعوبته، الى أن تسقط القذيفة القادمة وتُحدث اصابات كثيرة في احدى المدارس في سدروت، فمثل هذه الاصابات، كما فعلت القذيفة التي سقطت على شاطىء غزة يوم أمس، ستجعل اطلاق النار يستأنف. وأن المسألة ليست إلا مسألة وقت.

عاموس هرئيل
المراسل العسكري للصحيفة
(هآرتس) 2006/6/11

مأساة عائلة غالية اشارة تحذيرية اخرى على درب الدم النازف

الطريقة الوحيدة لاحباط النتيجة السيئة لما حدث في غزة تكمن في قرار الفلسطينيين بإزالة العوامل التي تتسبب فيها

■ اذا كان القادة الفلسطينيون يسعون الى البرهنة للجمهور الاسرائيلي بأن الغاء الوجود العسكري في قطاع غزة خلافا لطرد المستوطنين كان خطأ فادح الثمن، ومن الأفضل عدم تكراره في الضفة، فقد جاءت مأساة عائلة غالية أمس الاول لتكون اشارة تحذيرية اخرى على درب الدم النازف. قتلى العائلة ومصابوها كانوا سيبقون على قيد الحياة لو كانت السلطة الفلسطينية قد فرضت سيادتها على غزة وحالت دون اطلاق الصواريخ نحو التجمعات السكانية الاسرائيلية. هذه الوسيلة القائمة على سلسلة النار والرد بالنار، قد تقود الى اجتياح عسكري اسرائيلي واسع لقطاع غزة.

الجيش الاسرائيلي مطالب بتوفير الحماية لمواطني اسرائيل واعفاء المستوى المدني المنتخب من ضرورة التورط في اعمال هجومية كبيرة ذات ثمن بشري (للجانبين) وانساني. اطلاق صواريخ القسام بعد الانسحاب من غزة بعشرة أشهر مسألة لا تطاق. الصعوبة الأساسية التي تواجهها الفصائل التي تستخدم الاسلحة المدفعية والصاروخية تكمن في تخزين مواد ناسفة في رؤوس حربية. اذا تغلب مهندسو حماس وأمثالهم على هذه العقبة ونجحوا ايضا في زيادة مدى القصف، فسيتمكنون في هذه الحالة من تخزين صواريخ كثيرة انتظارا للحظة صدور الأوامر باطلاق الرشقات الصاروخية المتلاحقة. مثل هذا النجاح قد يُمكنهم ايضا من تمرير الصواريخ ـ وليس المعلومات فقط ـ الى الضفة عبر غزة أو عبر سيناء.

في غياب استعداد حكومة حماس لمنع الجهاد الاسلامي ولجان المقاومة الشعبية من اطلاق الصواريخ نحو اسرائيل، تواجه هذه الأخيرة ثلاثة بدائل أساسية: الامكانية الاولى هي ضبط النفس، وهو خيار غير اخلاقي وغير عملي. أما البديل الثاني فهو التصادم البري مع قوات حماس وغيرها من الفصائل في غزة، وهذا الخيار لن يتحقق إلا اذا كان آخر وسيلة متاحة. أثره سيكون مؤقتا وسينطوي على اصابات واسعة في صفوف الجيش الاسرائيلي والمدنيين الفلسطينيين. وسيستوجب اغلاق الحدود المصرية أمام ارسال التعزيزات لحماس من خلال المتطوعين والوسائل القتالية.

البديل الثالث الذي يعتبر تطبيقه هو المشتبه الأساسي في الدمار الذي حدث في غزة أمس الاول، عبارة عن مزيج من الوسائل الجزئية: الجدار مع المراقبة واعتراض الخلايا التي تحاول التسلل والعمليات الليلية للقوات الخاصة والجوية والبحرية والمدفعية من دون تماس مباشر يُعرض حياة الجنود للخطر.

النيران التي تُطلق من الجو هي الأكثر نجاعة ودقة، إلا أنها خاضعة لرحمة تقلبات الطقس. الجيش الاسرائيلي يستخدم المدفعية لأهداف غير مباشرة يطلق عليها «الزيارة البيتية» ـ منع خلايا القسام من العودة الى مواقع الاطلاق المتقدمة وتوجيهها نحو قنوات اخرى، حيث تتعرض للاصابة من نيران اخرى. القذائف التي أُطلقت على الشاطىء جنوبي دوغيت هدفت الى تحقيق هذا الهدف. المدى الأمني للقذائف هو 200 متر بعيدا عن التجمعات السكانية ـ وخريطة المناطق المعرضة للاصابة موزعة من خلال المنشورات.

أمس الاول احتفلت قيادة المنطقة الجنوبية بالانجاز الذي تحقق بطريقة أقرب الى الصدفة بقتل جمال أبو سمهدانة (كان هناك تخمين غير مؤكد بامكانية زيارته لموقع التدريب الذي هرب منه قبل القصف السابق بدقائق قليلة). أمس جرى التحقيق في كيفية اصابة العائلة الغزاوية والتأكد من مصدر النيران مع عدم استبعاد امكانية سقوط صاروخ قسام أو اللعب بقذيفة قديمة. ولأن القصف حدث بعد الرابعة والنصف بقليل، فقد تم استبعاد الامكانية الجوية والبحرية. مسار تحليق وسقوط خمس من القذائف الست التي أُطلقت، حددت باستثناء القذيفة الاولى.

خلايا القسام تطلق صواريخها بالأساس نحو الشمال (عسقلان، زيكيم، ونتيف هعسرة)، وشرقا (سدروت). الجدول الزمني الذي حدده الفلسطينيون يشير الى أن الحدث قد جرى من قبل شروع سلاح البحرية باطلاق قذائفه، وبعد أو خلال اطلاق المدافع.

خلال الايام القريبة، والى أن تهدأ الخواطر، سيكون من الممكن توقع تخفيف حدة القصف الاسرائيلي ـ تجميد الاطلاق المانع أو الذي يدفع الخلايا للتوجه الى مناطق اخرى واستمرارية القصف المباشر ضد هذه الخلايا خلال قيامها بالعمليات. هذا قد يكون مدخلا لوقف متبادل لاطلاق النيران، إلا أن ذلك قد يكون على الأغلب فترة عابرة حتى سقوط الصواريخ التالية التي تُبقي المعضلة على حالها: ضبط النفس أو القصف أو العودة الى الاماكن التي تم الانسحاب منها في آب (اغسطس) الماضي. الطريقة الوحيدة لاحباط هذه النتيجة السيئة تكمن في قرار الفلسطينيين بازالة العوامل التي تتسبب فيها.

أمير أورن
مراسل الصحيفة لشؤون الجيش
(هآرتس) 2006/6/11

التمرد في حزب العمل يركز على أداء بيرتس داخل الحزب ولا يكترث لفشله كوزير للدفاع

■ الحادثة التي قُتل فيها سبعة فلسطينيين أبرياء في غزة أمس الاول، أظهرت انتقادات المتمردين في حزب العمل لعمير بيرتس: هم يهاجمونه في مسائل صغيرة تتعلق بادارته للامور داخل الحزب، ويتجاهلون أداءه المحرج والمربك كوزير للدفاع.

البروفيسور أفيشاي برفرمان ورفاقه وضعوا انفسهم منذ البداية في مربع مثير للاشكال: إما أنهم لم يقولوا الحقيقة عن بيرتس قبل الانتخابات، وأو انهم لا يقولون أمورا كما هي قائمة الآن. وإلا فلن يكون من الممكن فهم الفجوة بين الصورة الايجابية التي رسموها لرئيس حزبهم قبل ثلاثة اشهر وبين الوجه القبيح الذي يُلصقونه به الآن.

اصوات المتمردين وصورهم، لا سيما تلك الخاصة بالبروفيسور برفرمان وعامي أيلون، ما زالت حية في الذاكرة، حيث كانا يغدقان على بيرتس الثناء والمديح القريبين من وصف نشطاء شاس لحاخامهم عوفاديا يوسف. برفرمان اعتبره رجلا مقداما وشبهه بتوني بليير. أيلون قال بأن بيرتس يفوق ايهود اولمرت وبنيامين نتنياهو في قدراته التي تؤهله لرئاسة الوزراء، وأنه شخص لديه قدرة نادرة على مواجهة الأوضاع الضاغطة. هذا الخير الوفير من زيت الزيتون لم يأت فقط لامتنانهما له لاتاحة الفرصة أمامهما للوصول الى قيادة الحزب، وانما ايضا من الرغبة في حمايته من الهجمات التي شُنت عليه بسبب أخطائه الاولى التي وقع فيها بعد انتصاره في قيادة الحزب (مثلا خطابه الغريب في ذكرى اسحق رابين أو محاولته الفاشلة في تشكيل ائتلاف بديل).

الآن هم يتحدونه. برفرمان قال في نهاية الاسبوع عن بيرتس بأنه نابليون وهو مُحب للسيطرة ومصاب بهوس الأنانية، واعتباره متهما بالخيانة. في جلسة مكتب حزب العمل يوم الخميس الماضي، انفجر متان فلنائي المتميز بضبط النفس عادة، ووجه شتيمة لذيذة الطابع لأداء رئيس الحزب. أيلون ايضا لا يوفر كلماته اللاذعة ضد بيرتس، إلا أنه يفعل ذلك بأسلوب أكثر لياقة. الانطباع هو أن لاعبي التعزيز في حزب العمل قد ملوا لعب دور القناع الذي أُعد لهم، وها هم يقومون الآن في تمزيق القناع عن وجه قائدهم الحقيقي.

ولكن تذمر المتمردين الحزبي هامشي بالنسبة لأدائه في وزارة الدفاع. أودعت بيديه مسؤولية ادارة المجال الأكثر حساسية وقابلية للاشتعال في الدولة، والانتقادات لأدائه آخذة في التزايد يوما بعد يوم، إلا أن متمردي حزبه صامتون بالنسبة لهذه القضية تحديدا. السياسة الأمنية تجاه الفلسطينيين لم تتغير منذ أن دخل بيرتس الى منصبه كوزير، ولم يتقلص نطاق المجابهة المسلحة، ولم يُلمس فيها أي تغيير على الرغم من البشارة التي أطلقها عشية الانتخابات. نحن أمام نفس اسلوب الاغتيالات والاعتقالات والقصف المدفعي ردا على صواريخ القسام وعمليات الاعتقال داخل الضفة.

بيرتس يفتخر في المقابل بمبادرته لاستئناف الحوار مع محمود عباس، وبفتح معبر كارني، وبتقليص الاغلاقات واعطاء تصاريح عمل للحرس الرئاسي الفلسطيني ـ ويحتج عندما لا تُنسب هذه الخطوات اليه. إلا أن هذه أمور صغيرة ضمن الصورة العامة: العنف الشديد المتبادل والآخذ في التصاعد.

اضافة الى ذلك يظهر بيرتس كمن ينفذ أوامر رئيس هيئة الاركان، ولا يضفي رؤية سياسية لعملية المصادقة على العمليات التي تُعطى للجيش. هو لا يطبق الاستنتاج المؤكد بأنه كلما زادت اسرائيل من عملياتها العسكرية كلما عرضت نفسها لعمليات أكثر شدة. كانت هناك أهمية لانتقادات برفرمان وأيلون ورفاقهما لبيرتس لو كانوا قد قالوا بأن طريقة أدائه لدوره كوزير للدفاع تؤكد ادعاء اليمين بأن الصراع مع الفلسطينيين غير قابل للحل، وأن طريقة ادارته تتم فقط من خلال السلاح. وزير الدفاع عمير بيرتس قد يدحض موقف رئيس الحزب عمير بيرتس (ومعسكر اليسار كله) بامكانية اتباع سياسة أمنية مغايرة وقادرة على تخفيف حدة الصراع على طريق تسويته.

عوزي بنزيمان
كاتب رئيس في الصحيفة
(هآرتس) 2006/6/11

من يرفض تشغيل العرب الآن لأسباب عنصرية سوف يرفض غدا تشغيل أبناء طوائف أو أقليات اخرى لنفس الاسباب

■ في مجتمعات كثيرة لا يعتبر فيها احتساء القهوة مجرد مشروب من بين مجموعة مشروبات، بل يعتبر عنصرا اجتماعيا موحدا في نفس الوقت، فليس الماء فقط، فمسحوق القهوة وأي نوع من الحلوى معها، رمز واضح على التفاهم المتبادل والانفتاح نحو الآخر، والتحادث. «هيا نجلس لنشرب فنجان قهوة»، تحول الى تعبير أولي يعني بأن نجلس للتحادث من خلال الانفتاح في محاولة للتوصل الى تفاهم، وتقارب، بل وايضا الوصول الى احساس بالصداقة.

وبالتحديد، فقد فوجئنا من الاستماع الى تلك الشكوى التي قُدمت الى وزارة الأديان ضد شبكة المقاهي المعروفة باسم «أركفا»، وذلك بدعوى انها لا تقبل توظيف عمال عرب عندها وفي فروعها. تحقيق أجرته اذاعة الجيش الاسرائيلي أظهر أنه عندما قدم مرشحان طلبات للعمل في الشبكة، الاول يهودي والثاني عربي، وكلاهما يمتلك نفس المؤهلات الأساسية المطلوبة، فقد جرى استبعاد العامل العربي، وتعاملوا معه بشكل سلبي. ومن اجل الحقيقة فقط، نضيف بأن شبكة «أركفا» فسرت ذلك بأنها لا تتخذ أي مواقف عنصرية خلال تعيين العمال في فروعها.

لن ندخل في موضوع شبكة «أركفا» لذاتها، الذي سوف يتضح كما يجب، ولكننا نريد الدخول في جوهر مسألة التمييز والعنصرية، فذلك قد يمتد الى اماكن اخرى محددة، واي